المبحث الخامس

الاعجاز التشريعي

الاعجاز التشريعي:هو ما جاء به القرآن الكريم من أحكام تشريعية تامة وكاملة تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان، وفاءا لا تظفر به في أي دين ولا تشريع آخر.

وقد ذهب عدد من العلماء المتقدمين الى عد هذا اللون من وجوه اعجاز القرآن، ومن هؤلاء الامام القرطبي الذي ذهب الى أن وجوه الاعجاز عشرة منها:ما تضمنه من علم هو قوام جميع الأمم، في الحلال والحرام وسائر الأحكام.

وقال به عدد من العلماء المعاصرين منهم الشيخ محمد ابو زهرة ومحمد عبدالله دراز، ومحمد رشيد رضا، وعبدالكريم الخطيب والزرقاني وغيرهم.

وذهب بعض الباحثين الى أن الاعجاز التشريعي هو المعجزة الدائمة التي تتحدى البشر في كل زمان ومكان، وأنها المعجزة الأصلية، ويستدلون بأن أحكام القرآن وتشريعاته قد اتسمت بمزايا وخصائص لا توجد في أي تشريع أو نظام آخر، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

١. **ان القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق الى الحق بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة، وحسن الأثر، وعموم النفع، مبلغا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمي أن يأتي من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم.**
٢. **لقد أثبت التقدم الفكري والتقني في العلوم في العصر الحديث أن القرآن قد جمع أصول كل العلوم والحكمة، وأن كل مستحدث من العلوم نجد أن القرآن وجه اليه وأشار.**
٣. **أن أحكام القرآن خالدة، صالحة لكل زمان ومكان، فلم تحتج على تطاول الدهر الى تعديل في أصولها الكلية، وذلك لما تتصف به من مرونة وسعة قابلة للاجتهاد والاستنباط، مستوعبة كل جديد، قابلة للتطور، منسجمة مع حاجات العصر.**
٤. **أن تشريعات القرآن تستهدف تحقيق الخير والسعادة للبشر جميعا، فهي تفي بحاجاتهم وتحافظ على حقوقهم، وتحدد واجباتهم، لان قاعدة بناء أحكامها هي(أن المصلحة والتيسير مجلوب، والحرج والضرر مدفوع) .**
٥. **أن أحكامه تتميز بالشمولية والاستيفاء، فهي شاملة لأحكام الدنيا والآخرة، موفية بكل الموضوعات والمباديء والأنظمة التي يحتاج اليها البشر في كل زمان ومكان، وبما يحقق لهم الاستقرار والطمأنينة، والسعي الى اسعادهم في الدارين.**
٦. **التكاملية في كل موضوع على حدة حين نجمعه من القرآن، بحيث يؤلف كيانا مؤتلفا ومنهجا كاملا، يقوم على توازن عجيب رغم كونه نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث.**
٧. **عدم تصادم أحكام القرآن وتشريعاته مع مقتضيات العقول السليمة، وضرورات الحياة، وتطاول الزمن، وتباعد الأماكن.**

موضوعات أحكام القرآن وتشريعاته ومقاصده التي جاء بها لتحقيق الرقي والهداية للبشر هي باختصار ما يلي:

أولا. في العقائد:فقد جاءت أحكامه العقائدية ترمي الى تحقيق اصلاح الاعتقاد، والى اصلاح طريق التفكير في الاعتقاد، فجاءت احكام القرآن بسيطة سهلة مناسبة للفطرة، ولا يجافيها العقل السليم، شاملة لكل ما يحتاج اليه البشر، بعيدة عن الاكراه والابهام، غايتها ترسيخ العقائد السليمة، وابطال الزائف واقامة الحجج على بطلانها.

ثانيا.في مجال العبادات:فقد جاءت ترشد الخلق الى ما يزكي النفوس، ويغذي الأرواح، ويقوم السلوك، ويقوم السلوك، ويحقق التكامل في الفرد والمجتمع معا.

ثالثا.في مجال الأخلاق:فقد جاءت بارشاد الخلق الى فضائلها، تنفيرهم من رذائلها، على حد التوسط والاعتدال بلا افراط ولا تفريط، وبتوازن دقيق بين متطلبات الروح والمادة.

رابعا.في المجال الاجتماعي:جاءت احكام القرآن ترشد الخلق الى الوحدة والائتلاف، ومحو العصبيات وازالة الفوارق التي تباعد بينهم، وذلك باشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة، وأن الناس متساوون أمام الله ودينه وشريعته، بلا استثناءات ولا امتيازات.

خامسا.في المجال السياسي والحكم:جاء القرآن بتشريعاته المفصلة التي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتنظم علاقات الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول في حالات السلم والحرب، وتضبط العلاقات الداخلية بين الافراد والجماعات على أسس وقوانين واضحة لا يبقى معها مجال للوقوع في خطأ أو اضطراب.

سادسا.في المجال الاقتصادي:جاءت تشريعات القرآن لتقيم نظاما اقتصاديا شاملا ومتوازنا بين الطبيعة البشرية ومقتضيات حاجة الفرد والمجتمع، يعالج بدقة وجوه التنظيم الاقتصادي للفرد والدولة، ابتداءا من الدعوة الى الاقتصاد وحماية المال، وسبل الكسب الحلال ووجوه الانفاق، الى تنظيم وسائل الانتاج وأساليب التوزيع، وطرق الاستهلاك، وبتوازن تام بين الملكية الخاصة والعامة، واستخلاف الفرد والمجتمع.

سابعا.في مجال حقوق الانسان:جاء القرآن الكريم بقواعد واضحة تحفظ حقوق الناس وتمنع من الاعتداء عليها أو مصادرتها، سواءا المدنية منها أو السياسية، ومن أظهرها منع الاكراه أو الاضطهاد الديني، وتحريم الاستبداد والغطرسة السياسية والفكرية، وتحرير الرقيق والدعوة بالحاح اليه، وتهذيب الحرب ووضعها على قواعد سليمة، وتجنيب المدنيين ويلاتها، فأوجب الرحمة فيها، والوفاء بمعاهداتها.

هذا باختصار اهم جوانب الاعجاز التشريعي في القرآن الكريم والذي حاز على شهادة تفوقه حتى من غير المسلمين، الذين لا يزالون حائرين يبحثون عن النور، فوجدوا في تشريعات القرآن وأحكامه ضالتهم التي ينشدونها، فمنع الخمر في أمريكا في بداية العقد الثالث من القرن العشرين، واباحة الطلاق في أمريكا أيضا، ودعوة مصلحوا أوربا الى تعدد الزوجات، واصدار اسبانيا في فترة قانونا يمنع البغاء الرسمي في بلادها، ويمنع النساء من البروز

على الشواطيء في ثياب السباحة، كل ذلك شواهد على نجاعة أحكام القرآن والتي حاول الغربيون تقليدها للخروج من مشاكل اجتماعية وازمات اخلاقية عصفت بكيان تلك المجتمعات.